جـامـعــة جـيـلالــي لـيـابـس بـسـيـدي بـلـعـبـاس



كـلـيــة الـعــلـوم الإنــســانــيــة و الاجتماعية

قــســم الـتــاريــخ

مذكرة مقدمة لـنـيـل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ و حضارة المغرب الأوسط

بـعـنـوان

العلاقات الثقافية للمغرب الأوسط و شرق المتوسط خلال العهد الموحدي

من إعداد الطالبة:

دهاص حورية

إشراف الأستاذة:

أ/ هلايلي حنيفي

لـجـنــة المـنــاقـشــة

رئيس اللجنة

أ/صحراوي عبد القادر

الأستاذ المناقش

بن عراج عمر

الـسـنــة الـدراسـيــة 2016-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

مــــلخـــــص الدراســـــة

الكلمات المفتاحية:.

Résumé

Mots-clés :.

Abstarct

Keywords:.

كـلـمــة شـكــر

الشكر لله الذي عبدناه حبا و طاعة و خوفا فوفقنا في إنجاز هذا العمل و أنار لنا طريق العلم و المعرفة و علمنا ما لم نكن نعلم.

نتوجه بالشكر الخاص و الخالص و امتنانا إلى من كانت لنى المرشدة، و السند و العون، لإتمام هذا العمل و كانت خير معين بالصبر و الإرشاد الأستاذ العزيز " هلايلي حنيفي" جازاها الله كل خير و سدد خطاها، و كتبها في ميزان حسناتها إن شاء الله، فلها عظيم الشكر و جزيل الثناء.

و نشكر أعضاء اللجنة: الأستاذ صحراوي عبد القادر و الأستاذ بن عراج عمر

دون أن ننسى الأساتذة: الأستاذ لعوج نصر الدين، الأستاذ شخوم سعدي، الأستاذ بلعربي خالد، الأستاذ بوشنافي محمد و الأستاذة بوتشيش أمينة.

كما ندعو للأستاذ الزين محمد بالشفاء العاجل

و لا ننسى السيد بوعزة سفيان الذي أسهم في إنجاز هذا العمل، كما أتقدم بالشكر إلى كل من علمنا حرفا، على كل من كان لنا دعما، و إلى كل من أثقل جهدا و كان سندا لإتمام هذا العمل و إلى كل من قدم لنا يد المساعدة و لو بالكلمة الطيبة.

و في الأخير نرجوا أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا فإن أصبنا فمن الله سبحانه و تعالى و إن أخفقنا فمن انفسنا.



إهـــــداء

أهدي هذا الإهداء المتواضع إلى أغلى ما أملك في الوجود إلى أمي و والدي

العزيز، أبي الغالي أطال الله في عمره،

إلى أمي القريبة إلى قلبي إلى كل أفراد عائلتي الكريمة

إلى أخوتي مصطفى، سليمان و أمينة، و الكتكوتة فاطمة الزهراء.

أرجوا الله أن يوفقهم جميعا، و أن ييسر لهم سبل الخير و الفلاح في الدنيا و

الآخرة و أن يجازيهم عني خير الجزاء.

دهاص حورية

مــقــدمـــــة

ارتبطت بلاد المغرب ببلاد المشرق منذ العصور القديمة، وخير دليل على ذلك الرحلات العلمية التي كانت تحدث بين الحين و الآخر بين الإقليمين مما ساعد في عملية التواصل الدائم بين الإقليمين.

ومع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب توطدت الروابط، حيث أصبحت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من العالم الإسلامي.

إن الدارس لتاريخ العلاقات المغاربية المشرقية يلاحظ منذ الوهلة الأولى أنها علاقات تواصل وترابط، وقد تجلت في عدة مظاهر مثل الرحلات العلمية و حركة الحجيج والتجارة التي زادت من تقوية هذه العلاقات.

لقد كان للمغرب الأوسط علاقات وروابط بين مختلف الأقطار، وفي مختلف المجالات نذكر على سبيل المثال الجانب الثقافي مع دول المشرق الإسلامي، وفي هذا الإطار تندرج مذكرتي التي تعالج موضوع العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ودول شرق المتوسط خلال العهد الموحدي.

ويكتسي الموضوع أهمية خاصة من حيث البعد ألزماني والمكاني، إذ يغطي فترة تميزت بكثير من التحولات الفكرية في بلاد المغرب والمشرق.

رغم هذه الأهمية إلا أن الدراسات التاريخية لم توليه اهتماما كبيرا، إضافة إلى اهتمام المؤرخين المغاربة الكبير بهذه الفترة دون إعطاء المغرب الأوسط حقه، فأغلب اهتمامهم منصب على المغرب الأقصى باعتباره مركز الدولة الموحدية ومقر الخلفاء,وهذه من الأسباب التي جعلتني اختار هذا الموضوع.

ولعل الإشكالية التي تتبادر إلى الذهن عند دراسة مثل هذه المواضيع هي :فيما تكمن وتتجسد العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ودول شرق المتوسط خلال العهد الموحدي ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها :

ما هو الواقع الجغرافي لكل من المغرب الأوسط ودول شرق المتوسط؟

ما هي الحواضر العلمية والمراكز الثقافية المنتشرة في المغرب الأوسط ؟

ما هي أصناف العلوم المدروسة في المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي ؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي تحليلي وذلك بعد تقسيم موضوع بحثي إلى مقدمة وأربعة فصول:

الفصل الأول: حاولت أن أبرز فيه جغرافية كلا من المغرب الأوسط ودول شرق المتوسط خلال العهد الموحدي.

الفصل الثاني: تطرقت فيه إلى الحواضر العلمية المتواجدة بالمغرب الأوسط واحتواءها على المراكز الثقافية ودورها في تنشيط وتوسيع الحركة العلمية بين الطرفين.

الفصل الثالث: تعرضت فيه إلى مختلف العلوم المدروسة آنذاك النقلية والعقلية بالمغرب الأوسط وأبرز العلماء في تلك الفترة.

أما الفصل الرابع حاولت إبراز مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ودول شرق المتوسط خلال الفترة الموحدية.

ثم خاتمة وهي عبارة عن استنتاجات حول الموضوع أجبت فيها عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة.

إن الدارسة العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ودول شرق المتوسط خلال الفترة الموحدية يتطلب من الباحث الوقوف مطولا عند المصادر المتصلة لفترة البحث سواء كانت

مصادر تاريخية أو جغرافية أو مصادر الرحلة. و من بين المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة هي:

كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمن ابن خلدون المتوفى سنة 1406ه ويتضمن معلومات هامة عن تاريخ الدولة الموحدية، وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة شاملة لعدة دول منها الدولة الموحدية،

وقد استفدت كثيرا من جزئه السادس والسابع خلال جميع مراحل بحثي.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت في النصف الثاني من القرن 07ه/13م) و يعد هذا المصدر من أهم المصادر للدولة الموحدية لأن صاحبه عاش الفترة في كنف الدولة الموحدية، وعاصر كثيرا من أحداثها وهذا ما يزيد من مصداقية ما يرويه وقد أعاننا في العديد من جوانب الدراسة.

نظم الجمان في أخبار الزمان لأبي الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان (ت 628ه/1230م) قد أفادنا هذا الكتاب بمعلومات هامة أوردها في مصنفه كان قد عاصرها.

كتاب أخبار المهدي ابن تومرت لأبي علي الصنهاجي المعروف بالبيدق الذي كان من أتباع المهدي ومؤيديه و المتأثرين به، وقد أشار هذا الكتاب إلى الأسس الثقافية التي بنيت عليها الدولة الموحدية.

البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لأبي العباس بن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712ه/1312م) ويعد الكتاب من أهم مصادر التاريخ الإسلامي وقد استفدت كثيرا من الجزء المخصص لتاريخ دولة الموحدين والذي يتحدث فيه بتفصيل وافي عن جوانب مختلفة لهذه الدولة.

كتب الجغرافيا والرحلات

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من القرن السادس هجري ويفهم من خلال هذا المصدر أن صاحبه عاش في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور ويحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة حول الحياة الثقافية لأقطار المغرب الإسلامي.

أما عن المراجع فأهمها :

الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي لعلام عبد الله علي، المغرب والأندلس لحسن مؤنس وهما كتابان يحتويان على معلومات كثيرة حول الدولة الموحدية والحياة الفكرية لها.

أما فيما يخص الصعوبات فنخص بالذكر منها : غياب المادة العلمية المصدرية التي تتناول عن علاقات الدولة الموحدية مع دول شرق المتوسط، بالإضافة إلى ندرة في الدراسات المتخصصة الحديثة.

وأولا وأخيرا فإني أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإتمام وإنجاز هذه الدراسة.

كما أخص بالشكر والتقدير :الأستاذ والدكتور المشرف على هذه المذكرة "هلايلي حنيفي " الذي لم يبخل علي بأي نصح أو توجيه.

الفصل الأول: جغرافية المغرب الأوسط و دول شرق المتوسط

المبحث الأول: جغرافية المغرب الأوسط

امتاز المجال الجغرافي بالتغير الشديد في حدود الدول، بل أننا في الكثير من المراحل التاريخية نجد أنفسنا أمام وحدة جغرافية لبلاد المغرب خاصة في العهد الموحدي.

لهذا يجب الخوض في مناقشة مسالة المجال الجغرافي يبدو من المفيد التنويه إلى أن هناك أمرين يجب أخذها بعين الاعتبار أثناء محاولة رسم الحدود من المركز عاصمة الخلافة والمحيط "المغربيين الأدنى والأقصى باعتبارهما بداية لحدود المغرب الأوسط.

يقسم ابن سعيد (685هـ 1287 م) المغرب إلى سبعة أقاليم منها إقليمان في المغرب الأوسط وهما الإقليم الرابع وفيه الجزء الأول ويشمل تلمسان و الجزء الثاني و فيه بجاية [1]

ويؤكد الغبريني (704هـ، 1305م) في أثناء حديثه عن الفقيه محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت 675هـ، 1277م) استعمال مصطلح المغرب الأوسط عند ما قال عن الفقيه "لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله "[2].

---

1 ابن السعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط2 1982م، ص140

2 الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 88

وهذا دليل على أن بجاية كانت ضمن الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط حتى في الفترة الحفصية. أبو الفداء (732هـ,1331م) فيقسم المغرب إلى ثلاث أجزاء بقوله "وبلاد المغرب ثلاث قطع الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى وهو من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا.و القطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهو من شرقي وهران عن تلمسان إلى أخر حدود مملكة بجاية من الشرق [1]

كذلك ابن خلدون (808هـ,1405م) يحدد المغرب الأوسط بديار زناتة وكل قبائلها وبطونها وقاعدتها اليوم تلمسان بالإضافة إلى ديار زواوة وهوارة وكتامة الممتدة على إقليم بجاية و قسنطينة [2]

و يشير الطاهر بونابي إلى أن هذا التمييز بين المغربين الأقصى والأدنى يدل على أن المغرب الأوسط ضارب في العمق الممتد من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا ومن البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا [3]

كما يصف المراكشي (ت 647هـ، 1249م) المعاصر للفترة الموحدية عندما تغلب عبد المؤمن على بجاية بقوله "... حتى أتى مدينة بونة وهي أول حد بلاد افريقية..." ويضيف قوله "فحد بلاد افريقية مما يلي المغرب المدينة المعروفة قسنطينة وسميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعتها [4]

---

[1] أبو الفداء عماد الدين، تقويم البلدان، اعتنى به رينود و البارون ماك كوكين دبسلان،دار الطباعة السلطانية،باريس 1840،ص122.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ج6، 2000 ص134

[3] بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ/12-13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2004 ص33.

[4] المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 2005.

و ابدأ ذلك ابن سعيد بان أول سلطنة افريقية على البحر مدينة بونة كما أكد أن بجاية قاعدة المغرب الأوسط أي أن بجاية جزء من المغرب الأوسط [1]

و بالتالي يمكننا أن نرسم خطا افتراضيا عموديا يبدأ من بونة و يصل إلى قسنطينة كحد للمغرب الأوسط من ناحية الشرق، حيث يحدده المراكشي بطول خمس مراحل من خلال قوله "ومن مدينة بونة إلى مدينة قسنطينة التي هي احد حدي افريقية خمس مراحل [2]

ويدعم الإدريسي (ت 560هـ، 1165م) اعتبار تلمسان نهاية المغرب الأوسط فتأكيده أن تلمسان قفل بلاد المغرب [3]

[1] الزهري أبو عبد الله، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيما من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت، ص 142

[2] المراكشي، المعجب، مصدر سبق ذكره، ص 252

[3] الإدريسي أبو عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، قسم المغرب العربي، تحقيق محمد حاج صادق، د ط، الجزائر،1983م، ص102.

المبحث الثاني: جغرافية دول شرق المتوسط

أ-المغرب الأدنى: اتخذ لفظ المغرب أبعادا جغرافية مختلفة فكان يدل على الجهة التي تغرب فيها الشمس [1]

ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب دمشق جهة مغرب الشمس [2] ثم صار هذا اللفظ يشمل البلاد الإسلامية الواقعة مع حدود برقة [3] شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا [4]

وقد ظهر هذا المصطلح في زمن الفتنة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن يقصد به ما يدل عليه الآن وإنما قصد به الجزء الغربي من الدولة الإسلامية الذي يتضمن مصر و الشام وما اتصل بهما [5]،ولم تكن بلاد المغرب الحالية معروفة بهذا الاسم عند قدوم الفاتحين المسلمين إليها بل أطلقوا عليها اسم افريقية [6] الذي كان سائدا إذ ذاك لدى البيزنطيين.

وبامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي ومنها بلاد الأندلس بدأ لفظ افريقية يتقلص شيئا فشيئا بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور والشمول [7].

---

[1] نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب، دار النهضة، بيروت، ط1، 1988م ص19.

[2] أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، ج1، ص 202.

[3] مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وافريقية وبينها وبين البحر ستة أميال.

[4] مؤنس حسين، المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة مصر، 2003، ص24

[5] لقبال موسى، المغرب الإسلامي من بناء المعسكر حتى انتهاء ثورات الخوارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر،1981م، ص14.

[6] أوسط بلاد المغرب وعند أهل العلم تعني القيروان، وقيل سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق والمغرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت، ج 1، 1957م ص228

[7] الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي،القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت، 1987م، ص12.1

المبحث الثالث: لمحة تاريخية للدولة الموحدية

تأسست الدولة الموحدية على يد زعيمها [1] الروحي محمد بن تومرت [2] الذي بدأ بالدعوة إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر [3] وكان يعلم الناس التوحيد [4] على مذهبه، لم تحول إلى الدعوة إلى حرب المرابطين [5] الذين وصفهم ابن تومرت بالتجسيم [6] و الكفر [7] و الفئة الباغية و المرقين المبدلين [8] وسمي أتباعه الموحدون وادعى أنه المهدي وبايعه الناس على ذلك [9]

وبعد وفاة ابن تومرت سنة 522هـ [10] بايع الموحدون عبد المؤمن بن علي كأول خليفة لهذه الدولة التي كانت في طور التكوين وامتدت الحروب بين المرابطين و الموحدين إلى أن توفي علي بن تاشفين سنة 537هـ [11] وتبعه ابنه تاشفين سنة 539هـ ودخل الموحدون عاصمة المرابطين مراكش سنة 541هـ [12]

---

[1] ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، د رقم الطبعة، 1972م، ص172

[2] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله السوس، رحل إلى المشرق وزعم أنه لقي الغزالي ويعتبر الزعيم الروحي للدولة الموحدية توفي سنة 524هـ

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، إصدار لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، د عدد وتاريخ الطبع، ص 245.

[4] الزركشي محمد بن إبراهيم أبو عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية الحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص 3

[5] البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية، الجزائر، ط2، 1986م، ص53

[6] البيدق، المصدر نفسه، ص 55

[7] الناصري أحمد بن خالد أبو العباس، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د رقم الطبعة، 1954م، ص ص 81-82.

[8] عبد الواحد المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص 260.

[9] البيدق، مصدر سابق، ص 52.

[10] البيدق، مصدر نفسه، ص64.

[11] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وغيره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1985م، ص 16.

[12] البيدق، مصدر سابق، ص 93.

قد عرفت هذه الدولة أوج قوتها في عهد خلفاءها الثلاث الأوائل فأولهم عبد المؤمن بن علي الذي بويع بالخلافة، تعد وفاة بن تومرت سنة 524ه واستمر في الخلافة إلى يوم وفاته سنة 558ه [1] ودامت مدة حكمه أكثر من ثلاث وثلاثون سنة [2] وهو أول تسمى بأمير المؤمنين[3] وهو الذي وطد دعائم المملكة بعد معاركه الكثيرة، ثم جاء بعده ابنه يوسف أبو يعقوب [4] الذي اعتلى على عرش الخلافة سنة558هـ بعد خلع أخيه محمد [5] و تأخر أخيه أبو حفص عمر وتوفي سنة 580هـ [6]، ودامت مدة حكمه أكثر من اثنين وعشرون سنة [7] و هو الذي ابتدأ ببناء المسجد الجامع باشبيلية، ثم تولى بعده ابنه أبو يوسف يعقوب[8] الذي تسمى بالمنصور ويعتبر آخر ملوك الموحدين.

---

[1] البيدق، أخبار المهدي، مصدر سابق، ص 65.

[2] ابن عذارى المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص 80.

[3] ابن أبي الزرع، روض القرطاس، مصدر سابق، ص 187.

[4] هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، أمه حرة اسمها زينب بنت موسى الضرير بويع بالخلافة بعد عزل أخيه محمد، كان واليا على اشبيلية أيام أبيه، توفي سنة 580ه.

[5] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ط3، 1987م،ص163.

[6] ابن عذارى المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص164.

[7] مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القدر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979،ص 157.

[8] هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أمه أم ولد، مولده 555ه،وتوفي 595ه.

الفصل الثاني: الحواضر العلمية و المراكز الثقافية بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي

المبحث الأول: الحواضر العلمية

مثلت الحياة العلمية مظهرا مهما من مظاهر الحضارة الموحدية، وكانت هناك عدة عوامل وراء ازدهار الحركة العلمية، كان أولها انتشار المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب الإسلامي عموما و المغرب الأوسط خصوصا.

الحواضر العلمية في المغرب الأوسط متعددة وكثيرة ومن أبرزها بجاية وتلمسان والقلعة و قسنطينة ووهران وجزائر بني مزغنة في الفترة الأخيرة.

إلا أن لم تنل العواصم الثقافية القديمة في المغرب الأوسط مكانتها خلال العهد الموحدي، حيث فقدتها لصالح مراكز علمية أخرى برزت بدور فاعل في الساحة السياسية و الفكرية، ومن بين هاته المدن التي فقدت مكانتها نجد مدينة أشير وتيهرت، حيث لم تنل عناية عبد المؤمن وخلفائه ربما بسبب تجاهل الدول التي جاءت بعد الرستميين باعتبارها مدينة الخوارج أو لتعارضها العقدي مع مبادئ تلك الدول، غير أن عبد المؤمن وخلفاءه [1] نشروا بتيهرت مبادئ الموحدين ونشطوا تحفيظ القرآن.[2]

إن تلمسان وبجاية من حواضر المغرب الأوسط السياسية والفكرية تمثل كلتاهما في نظر الجغرافيين المسلمين طرفا المغرب الأوسط، فبجاية تمثل البداية وتلمسان تمثل النهاية أو القفل على حد تعبير بعض الجغرافيين المسلمين.[3]

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج7,ص 105.

[2] علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، مرجع سابق، ص 286.

[3] موسى لقبال، زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان و المغرب الأوسط، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، 1975,ص ص 91-92.

أ-بجاية [1]

بما أن الثقافة عطاء الأجيال بعضها لبعض، وإن كان بحثنا حول الحياة الثقافية للمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و 7 هجريين، إلا أن الحركة الثقافية خلالها إنما هي عطاء القرون السابقة، خاصة في بجاية الحمادية والحركة العلمية التي عاشتها هذه المدينة والتي كانت من أزهى عصورها، فاحتفظت بجاية الموحدية بالموروث الفكري والعلمي لتطوره وتصبغ عليه طابع الثقافة الموحدية.

ورغم أن بجاية لم تكن في منتصف القرن الحادي عشر حسب البكري سوى ميناء صغيرا محتشما يسكنه الأندلسيون [2] لكن في نفس السنة التي أنهى فيها البكري تأليفه (1068/1068) شهدت هذه البلدة المغمورة انبعاث حياة جديدة باختبار موقعها من طرف أمير قلعة بني حماد، وهو نتيجة من نتائج الحملة الهلالية.

كما يصف الإدريسي المعاصر للفترة الموحدية بجاية بقوله "بجاية مدينة على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو، وهي في وقتنا هذا عاصمة المغرب الأوسط وأهلها مياسرة تجار بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد [3].

---

[1] من خلال بعض الدراسات حول بجاية اتضح أن تاريخ تأسيسها بداية من 457هـ/1064م وانتهوا منها 460هـ/1067م، بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

[2] البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، د ط، د ت،

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ص116.

ويضيف الإدريسي حول المدينة "وأما مدينة بجاية في ذاتها بأنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلكين وهي التي تنتسب دولة بني حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقبل بجاية دار الملك لبني حماد [1].

و بالتالي فبجاية عاصمة المغرب الأوسط ومدينة عظيمة على ضفة البحر، هي قطب لكثير من البلاد [2]، كما يدعم قوله صاحب الاستبصار "وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها والبحر منها ثلاث جهات [3].

ولقد برزت بجاية بفضل موقعها الاستراتيجي الذي شكلته هذه المدينة بالمغرب الأوسط حيث كانت تتوسط عدة مدن مهمة كبونة وقسنطينة وجزائر بني مزغنة وقلعة بني حماد، كما كانت محطة تجارية [4] ومعبر للرحالة والحجاج والعلماء للتوجه نحو الشرق والأندلس والعودة منها [5].

كما وصف لنا حسن الوزان (حي سنة 957هـ/1550م) بأنها مدينة عتيقة بناها الرومان وتنافر كوانينها ثمانية آلاف في القسم المسكون منها، إذ لو امتلأت دورا لفاق عدد كوانينها أربعة وعشرين ألفا [6] وإن دل عدد الكوانين فبدل على التركيز السكاني الكبير بها لأنها منطقة جذب للإقامة.

ويصف الوزان دائما بقوله "ودورها كلها جميلة وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى الزوايا المتصوفة [7].

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سبق ذكره، ص117

[2] الحميري السبتي,الروض المعطار في خبر الأقطار,تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، لبنان، ط2، 1984م,ص95.

[3] المصدر نفسه، ص123.

[4] السعيد عقبة,الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجري ، من خلال كتاب عنوان الدراية، رسالة ماجستير,جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008-2009.

[5] ابن جبير الشاطبي، الرحلة، دار صادر، بيروت، 1959,ص 115.

[6] حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي,ومحمد الأخضر,دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983,ص 47.

[7] حسن الوزان، نفس المصدر,ج2,ص50.

بهذا كانت بجاية مواتية من حيث موقعها الجغرافي، ونشاطها الاقتصادي، ومناخها الطيب على طلب العلم والمعرفة، أين كان يجد بها القاصدون متعة الإقامة وراحة العقل وطمأنينة القلب، مما كان يساعدهم على التأليف فاشتهر بها الكثير من المتصوفة ورجال المتصوفة وعلماء الكلام [1].

كما بقيت بجاية قبلة للعلماء ومحج للفقهاء في العهد الموحدي [2]، وليس أبلغ من قول ابن تومرت لعبد المؤمن عند لقائهم الأول في بجاية "العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب [3].

فأصبحت بجاية واحدة من أهم الحواضر الثقافية والفكرية بمنطقة المغرب الأوسط، إذ كانت عامرة بالفقهاء و الأدباء كما تعد من أكبر مراكز العلوم الإسلامية واللغوية على غرار ما يوجد منها بالمشرق والأندلس، فقد كان يهاجر إليها باستمرار رجال من أولى العلم والأدب للاستزادة من علوم الدين والحديث و اللغة [4].

فبجاية كانت من حواضر المغرب الأوسط التي كان لها نصيب من النمو و التوسع العمراني فيذكرها العديد من المؤرخين والشعراء أنها كانت تكسوها مبان في غاية الإبداع والجمال [5].

---

[1] عبد النور إبراهيم، إسهامات القيروان وبجاية في البناء المغربي الإسلامي,ضمن أعمال الملتقى المغاربي الأول الإسهامات المغاربية في البناء المغربي الإسلامي 21-22نوفمبر,دار قانة للنشر، باتنة، الجزائر، ج1,ص54.

[2] ابن القطان، مصدر سابق,ص176.

[3] مجهول، الحلل الموشية، مصدر سابق، ص106.

[4] عبد النور إبراهيم، مرجع سابق، ج1,ص43.

[5] أمينة بوتشيش بجاية دراسة تاريخية وحضارية من القرنين السادس والسابع هجريين، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007-2008,ص 62.

ب- وهران

يقول عنها محمد بن يوسف الزناتي اعلم أن أول من اختط وهران هو المغراوي حزر بن حفص صولات في عام 290هـ/902م أو 291هـ/903م وبعد تأسيسها استبحر عمرانها، وعدت من أمصار المغرب ومن أحسن معاقلها، و قصدها العلماء و التجار وأرباب البضائع فكانت مقصد الغماة و الوفود والعساكر والحشود.

كما وصفها ابن حوقل (ت367هـ/977م)بأنها مدينة ساحلية مرساها جيد ولها علاقات تجارية مع الأندلسيون وبها نشاط كبير وذلك خلال القرن الرابع هجري، حيث كانت تابعة للدولة الزيرية [1] حكمها الخزريون المغراويون الذين كانوا يخضعون للفاطميين وأحيانا للأمويين بالأندلس حتى سنة 473هـ/1081م احتلها المرابطون واتخذوها قاعدة بحرية لأسطولهم الحربي و التجاري [2].

و وهران بفتح أوله و سكون ثانيه، وآخره نون.هي مدينة حصينة كما يصفها البكري في القرن الخامس الهجري، وهي ذات مياه سائحة وأر حاء ماء وبساتين، ولها مسجد جامع، وقد أسس هذه المدينة محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين كانوا ينتجعون مرساها بإتقان مع نفزة وبني مسقن، وهم من إزداجة وذلك سنة 290هـ /902م وسماهم صاحب الاستبصار بني مسكين بدل من مسقن [3].

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتسبة دار الحياة، بيروت لبنان، 1982,ص79.

[2] يحي بوعزيز، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرعاية، الجزائر، 1985,ص38.

[3] ابن السعيد المغربي، المغرب في حلى النغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1993,ص ص133-134.

و قد قرر عبد المؤمن الموحدي ضمها، فاصطدم بقوات تاشفين بن علي سنة 539هـ/1144م لكنه تغلب عليه وفتحها بعد حصار قصير وحولها إلى قاعدة بحرية لأسطوله[1].

لهذا يصفها الجغرافي المجهول "بأنها مدينة كثيرة البساتين و الثمار، ولها ماء سائح وأنها كثيرة و أرحاء و عيون، وهي من أعز البلاد، ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها أثار قديمة[2].لكن الإدريسي ذكرها بأن مرساها صغير، لا يستر شيئا، رغم أنه وصفها من الداخل بأن أسواقها مقدرة.وصنائع كثيرة وتجارة نافعة وعليها سور تراب متقن، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل الأندلس [3].

ووصفها جغرافي آخر عاصر الفترة الموحدية، بأنها مدينة على البر الأعظ من الغرب بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر و أكثر أهلها تجار [4] وهذا يدل على تراجع دورها بسبب تخريبها في فترات سابقة.

كما تأسست بها خلال العهد الموحدي عدة مدارس، ونشطت بها الحركة الثقافية وتوسعت بها عدة علماء منها أبو محمد عبد الله بن الجبل، الذي كان أحد أعضاء مجلس أعيانها [5] وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم (599هـ/1173م الحمزي ألوهراني المعروف بابن قرقول [6].

---

[1] يحي بوعزيز، وهران، المرجع السابق,ص38.
[2] الحميري، المصدر السابق,ص612.
[3] الإدريسي، نزهة المشتاق,التصدر السابق,ص105.
[4] ياقوت الحموي، معجم البلدان,ج5، ص385.
[5] يحي بوعزيز، وهران، المرجع السابق,ص38.
[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان,ج5المصدر السابق,ص386.

و منهم أبو عبد الله محمد لوهراني الملقب ركن الدين الذي دخل مصر حوالي سنة (570هـ/1174م) واشتهر فيها بالعلم و الأدب وحسن الفهم، ومنهم أبو تميم وذكره الغبريني أبو تمام الوهراني [1]، و الفقيه محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني (601 هـ/1205م) [2] والنحوي علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني (ت 615هـ/1219م) [3] وغيرهم كثير.

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5,المصدر السابق,ص386.

[2] ابن الآبار.التكملة، طبعة مدريد، ج2,ص374.

[3] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، 1951م,ص705.

المبحث الثاني: المؤسسات الثقافية

عرفت الثقافة في المغرب الأوسط عهد الدولة الموحدية ازدهارا عظيما بالرغم مما يوجه لهذه الثقافة من انتقادات في بعض مناحيها. و مهما يكن فإن مجرد ذكر أسماء المفكرين و الكتاب الذين اشتهروا بما ألفوه من كتب في مختلف العلوم، وكذا ذكر تعدد المراكز العلمية وانتشارها في الحواضر والبوادي، ليكفي الحكم لهذه الثقافة بما وصفتها به، وتتجلى مظاهر هذه الازدهار في كثير التأليف الخصوبة الفكرية [1] وكذا تعدد المراكز العلمية.

لقد استمدت المؤسسات الثقافية في المغرب الإسلامي عموما، و المغرب الأوسط خصوصا مقوماتها و أصولها من المشرق الإسلامي بدءا من الفتح الإسلامي، إلا أن المغرب الأوسط سرعان ما مازجها مع ثقافات أخرى، تحت التأثير الأمازيغي والأندلسي و الأفريقي [2] وكان التعليم يمارس بالمساجد و الزوايا والمدارس.

إلى جانب هذا اهتم الموحدون بإنشاء المراكز التعليمية، وأولوا عناية بالغة للتعليم، لأنه يعد من العوامل الأساسية المساهمة في الحركة الثقافية الفكرية في أي مصر من الأمصار، كما يعتبر مرآة عاكسة للازدهار الثقافي و العلمي.

لقد تعددت مؤسسات التعليم في المغرب خلال العهد الموحدي (7-6هـ/12-13م) وكان في مقدمتها المنزل [3] و الكتاب والمسجد التي تعتبر المراكز التعليمية الأولى آنذاك، ثم تلتها المدارس فيما بعد علاوة على أنها كانت هناك أيضا الربط و المكتبات[4].

---

[1] ديب صفية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، بين القرنين 6-7هـ/12-13م,نشر مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2011م,ص41.

[2] أشباخ يوسف,تاريخ الأدلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبيد الله عنان، مكتبة الخانجي,القاهرة,ط2، 1996م,ص ص251-252.

[3] يذكر الغبريني أن أبا عبد الله محمد صنعان ا لقلعي من أهل قلعة بني حماد ورحل إلى بجاية، كان له مجلس دراسة يعلو سقيفة داره فيجتمع إليه الطلبة، الغبريني المصدر السابق,ص189.

[4] ديب صفية، المرجع السابق,ص ص218-219.

أ-المساجد

كان المسجد هو النواة الأولى للتعلم في حضارتنا العربية الإسلامية فليس هناك جامع أو مسجد في مدينة المدن الإسلامية يخلو من حلقات العلماء و المدرسين [1] وقد حث الإسلام على بناء المساجد والعناية. و من ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:"سمعت رسول الله يقول "من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة " رواه أحمد وابن ماجة

و بناء المسجد أمر من الله سبحانه وتعالى لجميع المسلمين وحدد القرآن الكريم الوظيفة الأساسية للمسجد قال الله تعالى :"في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له ما فيها بالغدو والآصال "[2].

ارتبط تاريخ التعليم في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط ارتباطا وثيقا بالمسجد قبل تأسيس المدرسة، حيث قامت فيه حلقات الدرس منذ أن أنشئ لأول مرة واستمر لقرون. و في شتى أنحاء العالم الإسلامي دون توقف[3]، كما كانت مراكز للحكم و الإدارة و الدعوة و التشاور ومحلا للقضاء و الإفتاء و العلم و الإعلان وغير ذلك من أمور الدين و الدولة.

فكانت المساجد و الجوامع باعتبارها الخليفة الأولى و الأساسية في المجتمع الإسلامي، و لكنها مركز للعبادة و التثقيف و التعليم و التوجيه، قامت بدور عظيم وكبير في نشر السنة و إشعاعاتها، و تركيز الدراسات الحديثة وتأصيلها، وتكوين الأجيال المتلاحقة من علماء الحديث وشيوخه [4].

---

[1] مروان عبد الملك، صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة الإسلامية,مجلة المورد,دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق,بغداد,مج 29,العدد 1، 2001م، ص ص 27-28

[2] سورة النور,الآية 36.

[3] أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، دار الإتحاد العربي للطباعة، ط5,مصر 1976م,ص102.

[4] يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د ت,ج2,ص474.

إن تاريخ المؤسسات الثقافية والتعليمية في المغرب الأوسط، وعلى المسجد مازال يكتنفه الكثير من الغموض خاصة في الفترة الموحدية، حيث سادت الثقافة الموحدية على حساب الثقافة القطرية كما غطت الأنشطة الثقافية و التعليمية المتواجدة في عاصمة الدولة مراكش، و المدن المحاذية لها، كفاس على نشاطات بقية المدن خاصة البعيدة عن العاصمة.

و عموما ساعد في تطور وظيفة المسجد بالمغرب الأوسط الاهتمام بالعلم و العلماء وكما يقول المقري عن مكانة العلماء في الأندلس ينطبق على المغرب الأوسط "فالعالم عندهم معظم من الخاصة و العامة، يشار إليه و يحال عليه و ينبه قدره وذكره عند الناس، و يكرم في جوار أو إتباع الحاجة وما أشبه ذلك [1].

لقد اهتم الموحدون ببناء المؤسسات الدينية و خاصة منها المساجد، فاحتوت كل مدينة من المدن الموحدية على مسجد، وربما جامع كبير على غرار بجاية وتلمسان و قسنطينة و جزائر بني مزغنة، حيث أصدر عبد المؤمن أوامر بإصلاح المساجد وبناءها في تاجرة [2] بتلمسان وفي جميع بلاده.وتغيير المنكر [3] لذلك بني الموحدون عدة مساجد في المغرب الأوسط، و رمموا الأخرى ووسعوها، و تجديد القديم ومنها الجامع الكبير بتلمسان و ندرومة و مسجد درب الموحدين [4] ومسجد حومة اللؤلؤة المعروف بمسجد المرجاني، حيث كان يجتمع فيه الصلحاء و الأفاضل المتعبدون [5].

---

[1] المقري أبو العباس,نفخ الطيب,مصدر سابق,ج1,ص220.

[2] تاجرة:بفتح الجيم و الراء بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين من سواحل تلمسان، بها كان مولد عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب، ياقوت الحموي، المصدر السابق,ج2,ص5.

[3] ابن ابي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس,المصدر السابق,ص189.

[4] عبد العزيز لعرج، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث الوطنية، الجزائر، 2007م,ص34.

[5] الغبريني، المصدر السابق,ص34.

كما كان الشيخ أبو شعيب (594هـ/1197م) يقيم مجالسه العلمية و الصوفية بمسجد أبي زكريا الزواوي.وكان الشيخ أبو علي ألمسيلي يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد [1] وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله المغافري يجتمع إليه الناس بالجامع الأعظم لحضور دروسه العلمية، وذكر ابن الآبار في معجمه أن الحافظ أبو يوسف الأغماتي التلمساني (كان حيا سنة 523هـ/1128م)كان يدرس بجامع تلمسان القديم.

ويضاف مسجد آخر ببجاية هو مسجد المرجاني نسبة إلى الشيخ الفقيه أب زكريا المرجاني الموصلي، الذي زار بجاية وترد د على هذا المسجد و اجتمع بالناس لمعلمهم أمور دينهم، فنسب إليه تكريما له بعد رجوعه إلى بلاده، بالموصل في بلاد المشرق، ويقع بحومة اللؤلؤة ببجاية [2].

وكانت طريقة التعليم في المساجد تتم بجلوس الأستاذ أو الفقيه علي كرسي حتى يراه جميع الطلبة أو مستندا على ظهره على عمود أو ركن من أركان المسجد وحوله يجلس التلاميذ أو الطلبة في شكل حلقة محيطين به، وكانت الأبواب تفتح و الحضور مباح للجميع [3].

بقيت المساجد على عادتها تقوم برسالتها التقليدية فامتلأت بالطلاب و العلماء و الفقهاء، يدرسون العلم ويقصدهم الناس للشورى أو قراءة القرآن، كما قصد هذه المدارس الصلعاء و العباد [4] وقاموا بدورهم في تقديم الفتوى و العلم للناس على اختلاف مستوياتهم [5].

[1] الغبريني، عنوان الدراية، مصدر سابق,ص165
[2] المصدر نفسه,ص165.
[3] السعيد عقبة المرجع السابق,ص51.
[4] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد,تحقيق عبد الحميد حاجيات,المكتبة الوطنية، 1980,ص120.
[5] الغبريني، المصدر السابق,ص136.

لقد كان المسجد عبارة عن معهد علم قائم بذاته خاصة إذا علمنا أن المساجد الجامعة كان يدرس بها أكثر من معلم واحد، و يقسم الدور فيها بين الفقهاء، وكان هناك أكثر من مجلس للمعلمين في أنحاء المسجد الواحد وهذا يجعلنا نستخلص أن عدد حلقات الدرس كثيرة خلال الفترة الموحدية [1].

ومن خلال قراءتنا لتراجم المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية نجد أن المسجد كان مركزا علميا لا يخلو طوال النهار، بل حتى أجزاء الليل من حلقات الدراسة و التعليم و الوعظ، ولم تكن حلقات الدرس تقتصر على المسجد الجامع أو الجامع الكبير، فأبو عبد الله الشوذي الإشبيلي الحلوي، نزيل تلمسان، كان يدرس في مسجد صغير عند خندق عين الكسور بخارج باب القرمين [2].

[1] ديب صفية، التربية والتعليم,مرجع سابق,ص247.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق,ج1,ص ص159/127.

ب-الكتاتيب [1]

لقد أسس إلى جانب المسجد مراكز تعليمية ومؤسسات ثقافية لا تقل أهميتها عن دور المسجد إلا كونه يخصص للصبيان لتعليمهم القران وإحكامه وتفسيره عرف هدا المرفق الثقافي بالكتاب والكتاتيب.

وهي عبارة عن قاعات واسعة يعلم فيها مجموعة من الأساتذة الأطفال الصغار لقراءة والكتابة على ألواح مختلفة [2] يكتب التلاميذ فيها جزء من القران كل يوم ويختمونه والكتاتيب هي أماكن المرحلة الأولى التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين الكتابة ويأخذون بعد ذلك في حفظ القران الكريم ثم يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين واللغة التي تهيئهم لتلقي العلوم بالمساجد [3].

كما تعتبر من المؤسسات التعليمية الهامة بالمغرب الإسلامي ظهرت عند عجز طاقة استقبال المسجد أو يسبب نجاسة الأطفال للمسجد بل أفتى بعضهم بعدم جواز تعليم الأطفال بها [4] و نهى ابن عبدون عن ذلك بقوله" وتجب أن لا يؤدب فيها الصبيان فإنهم لا يتخطون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم فان كان ولا بد فقي السقائف." [5].

---

[1] الكتاب: موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والمكاتب. والمكتب:هو المعلم وقال المبرد المكتب موضع التعليم والمكتب المعلم والكتاب الصبيان ابن منظور

[2] المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق احمد جلولي البدوي ورابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975 ص 18

[3] علام عبد الله علي، المرجع السابق ص 191

[4] والونشريسي. المعيار ، المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب خرجه جماعة من الفقهاء ومحمد حجي وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية الرباط ج 7 1981 ص 83

[5] ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب تحقيق ليفي بروفنسال مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة 1955

والكتاتيب جمع كتاب أنشأت ليتعلم فيها القراءة والكتابة وقراءة القران الكريم وقد انشق اسمها من علم الكتابة وقد كان ظهورها مع الرسالة المحمدية عندما جعل فداء بعض أسرى معركة بدر من الدين يحسنون الكتابة [1].

ويطلق على الكتاب القرآني في بعض الحواضر بالمغرب عامة والأوسط خاصة بالمسير وهو تحريف لكلمة مسجد [2] وفي البوادي جامع لان تعليم القران للصغار كان يقع مند أيام الموحدين في المسجد الجامع والكتاتيب بذلك المعنى كانت تعتبر كمدارس أولية للصغار حيث يحفظون القران ويتناولون مبادئ اللغة [3].

فبقي شان الكتاتيب في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في عواصم المغرب الأوسط والمدائن الكبيرة كبجاية وتلمسان والقلعة وقسنطينة حتى لم يخلو منها درب من الدروب أوحي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلها تعددت المساجد في الحارات و لا عجب أن اعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل أنها وجدت أيضا في دور الأعيان والأغنياء وبالأخرى في القصور الولاة والخلفاء [4].

---

[1] مروان عبد الملك محمد,صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة و الإعلام ، العراق,بغداد,مج29,العدد1، 2001.

[2] السعيد عقبة، المرجع السابق,ص51.

[3] عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط,ط3، 1963,ص ص 13-14.

[4] ابن سحنون محمد,كتاب آداب المعلمين، مراجعة وتعليق محمد ألعروسي، المطوى، منشورات دار الكتب الشرقية,تونس,1972م,ص33.

وقد كان الآباء لا يختارون لتعليم أبنائهم إلا من حسنت سيرته وظهر عفافه وطيبته في الوسط الذي يعيش فيه إلى درجة أنهم كانوا لا يولون الأعزب تعليم أطفالهم [1] كما يشترط في معلم القران المعرفة التامة بقواعد قراءة وتلاوة القران المعلم الذي لا يعرف الإظهار والإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم والترقيق و غير ذلك وأحكام القران الكريم لا تجوز له الحدقة[2].

إضافة إلى دلك سمح للبنات بالتعليم بالكتاتيب واخذ شيء من القران والأحاديث النبوية وهدا ليس بجديد عن الغرب الإسلامي [3].

ولمعلم القران أجره الخاص وهو ما يعرف بالحدقة وهو ما حدده الفقيه المغراوي ت 920 هـ/1514 م و بقوله أن الصغير إذا انتهى إلى حد الكتب في اللوح بالقلم وقبل أن يتلقى ما يلقى وأحسن الكتب فلمعلم الحدقة ثمانية دراهم.

وكما كان للطالب النجيب يكافأ كان المعلم يقوم بالإصلاح والزجر للطالب الكسول أو الفعل بالسلوك الحسن دون تجريح أو انتقام أو تشفي.

"ينبغي على المعلم أن يؤدبهم على الكذب والسب والهرب من المساجد واليمن بالطلاق والحرام وغيره." [4].

---

[1] رشيدة برادة الدور التربوي والتعليمي المؤسسات التعليم العتيق في المغرب الإسلامي حجلة الجامعة المغاربية اتحاد المغرب العربي طرابلس، ليبيا ، العدد 1 السنة الثانية 2007 ص 103

[2] المغراوي محمد,الموحدون وأزمات المجتمع,دار جذور للنشر، الرباط,ط1، 2006م,ص50.

[3] القاضي عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ضبط وتحقيق محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية ط 1 بيروت ، لبنان 1998 ج 1 ص 501

[4] هدا قول الجز ولي صاحب دلائل الخيرات (ت870 هـ/1465 م) نقاد المغراوي المصدر السابق ص 39

أما بالنسبة لمواد الدراسة وهي تعليم القرآن والصلاة وما يصحب ذلك من معرفة القراءة والكتابة، وبعض النحو و العربية [1]، فكانت بذلك المادة العلمية ترتكز على نص القرآن الكريم، فنأخذ به حفظا وضبطا ورسما وتجويدا لمختلف روايات قرائه وأخيرا شرحا لغريبه وتفسيرا لمضمونه، واستخلاصا لأحكامه مع معرفة الناسخ والمنسوخ منه وغير ذلك [2].

[1] ديب صفية، المرجع السابق,ص71.

[2] الونشريسي، المصدر السابق,ج8,ص244.

ج- المدرسة [1]

المدارس: هي تلك الأماكن أو الدور أو المباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم ويتولى التدريس فيها معلمون وأساتذة وعلماء، ويعود سبب ظهور المدرسة إلى كثرة العلوم المتداولة في المسجد و تشعب مهامه من اجتماعية ودينية وعسكرية وسياسية، فتم إنشاؤها للتكفل بالمهام التعليمية.

إن المصادر التاريخية متضاربة حول فترة ظهور المدارس بالمفهوم الدقيق في بلاد المغرب، فالبعض يرجعها إلى القرن (5هـ/11م) [2] وآخرون إلى القرن (6هـ/12م) و فريق ثالث للقرن (7هـ/13م),وقد ظهرت المدارس في المشرق ثم انتشرت في كل من بلاد الشام ومصر ثم انتقلت إلى بلاد المغرب.

بل هناك من يذهب أبعد من ذلك حين يذكر أن عبد المؤمن بن علي هو الذي أسس المدارس بمراكش، ثم عممها على كافة المغرب، ومنها المدرسة العامة لتخريج الموظفين وتكوين الإطارات الإدارية "مدرسة الحفاظ بمراكش [3]"والمدرسة التي أسسها في الرباط لتعليم فن الفلاحة ولعل هذه المدرسة البحرية هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي [4].

---

[1] المدارس والمدرس :الموضع الذي يدرس فيه، والمدرس :الكتاب و المدارس، الذي قرأالكتب ودرسها، والمدراس:البيت الذي يدرس فيه القرآن، ابن منظور، المصدر السابق,ج2,ص1360.

[2] محمد بوشقيف، المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 9/8هـ أو15/14م,دورية كان التاريخية، العدد 11,مارس 2011م,ص58.

[3] فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ج1، 2002م، ص141.

[4] ديب صفية، المرجع السابق,ص259.

لقد حرص الموحدون على تشييد المنشآت الثقافية المختلفة ومنها المدارس، ونظموا الحياة العلمية بها و يؤكد كلامنا هذا ما يشير إليه الحسن الوزان عن أثار مدينة مراكش بقوله "في هذه المدينة مساجد ومدارس وحمامات وفنادق على الشكل الإفريقي، من هذه المساجد ما بناه ملوك لمتونة -أي المرابطين - ومنها ما بناه من خلفهم ملوك الموحدين [1].

حرص الموحدون على استجلاب العلماء إلى حضرتهم و حشدهم سواء في بلاطهم أو في المعاهد من أهل كل فن من فنون المعرفة، وخاصة أهل علم النظر منهم، حيث كانوا يدققون في اختيار العلماء المدرسين واختبار كفاءتهم ومدى تمكنهم وتوسع مداركهم و مشاربهم[2].

ومن أجل أن تؤدي المدرسة دورها التعليمي على أحسن وجه خلال هذا العهد وفرت لها الإمكانيات، فاشتغلت على قاعات المجالس و المحاضرات، وأماكن لإقامة الطلبة وعين فيها المدرسون و المشرفون على المكتبات الملحقة بها، كما خصصوا منحا للطلبة خاصة الفقراء منهم، ويوضح لنا ابن القطان ذلك بقوله: "هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء والإقلال عليهم ظاهر، فنرى أن ندفع إليهم مالا..." [3].

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1,ص127.

[2] إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م,دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج1,ط1,ص 71.

[3] ابن القطان المصدر السابق، ص177.

عندما أنشأ الموحدون المدارس قاموا باستدعاء أبرز العلماء للتدريس فيها، مما سمح لهم بتوجيه نمط التعليم بالمغرب الأوسط، وكان يدرس الطلبة في هذه المرحلة أساتذة مختصون ومشهود لهم بالتفوق في المواد العلمية سواء النقلية أو العقلية، وقد أوردت كتب التراجم العديد منهم.

بذلك يعد بناء المدارس في هذه العهد من مظاهر التقدم العلمي، وقد أصبح تقليدا متبعا حتى من أفراد الشعب [1]، أما أول من أسس مدرسة خصوصية بالمغرب على النموذج الشرقي فهو عالم من سبته يدعى علي بن محمد الشاري. فنشط أهل العلم قاطبة، بإدرار الخلفاء الرزق عليهم وشملوهم بعنايتهم وخالطوهم في مجالسهم وأنشأوا المدارس وكفوا طلبتها مؤنه الاسترزاق [2].

وكان للعلماء و الفقهاء والمتصوفة و المعلمين يد بيضاء و أعمال ناصعة في نشر العلم والمعرفة و الثقافة الإسلامية، في مدارس تلمسان العديدة ومساجدها الكثيرة وزواياها، وباع طويل في نسخ التراث الإسلامي. وقد تركوا بصمات فكرية رائدة وحركة تنويرية واسعة للعلوم الإسلامية و المعارف المختلفة.

وما من شك في أن كثرة المدارس والمساجد التي أنشأها الموحدون، كان لها أكبر الأثر في تخريج أجيال كثيرة من العلماء منهم عبد الله بن نعيم الخضر مي نشأ بتونس، وتوفي بقسنطينة عام 636هـ/1238م، أحد الأشياخ المنتصبين للتدريس و الرواية [3] ، وكان ذا حضوة من قبل ولاة بني عبد المؤمن ببجاية [4] وكذلك أبو محمد المجاصي البكاء، من أهل الحديث والدين و الورع، زاهد كثير البكاء. حتى اشتهر به ذي مواعظ حسنة وتدريس للعلم [5].

---

1 عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961,ص138.
2 مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط,ج2,ص335.
3 الغبريني، مصدر سابق، ص 225.
4 الغبريني نفسه.ص ص271-272.
5 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ص106.

الفصل الثالث: العلوم العقلية والعلوم النقلية

المبحث الأول: العلوم العقلية

أ-التاريخ: عنى الموحدون بعلم التاريخ [1]، لم يكن أقل حظا ولا أنجس نصيبا من غيرهما من الآداب في الرواج و الانتشار، ففي العهد الموحدي وضع أول تاريخ نعرفه عن المغرب حاملا هكذا اسم المغرب.

الأمر الذي سيصبح تقليدا متبعا في الكتب التي توضع بعده، وهذا التاريخ هو كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م)وإن كانت كتب أخرى في التاريخ والتراجم منهم صاحب كتاب الصلة لأبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، تاريخ سبتة للقاضي عياض إلا أنه ليس كتابا جامعا لتاريخ المغرب بصفته بلاد ذات وحدة وكيان [2].

كما كان الفقيه الإباضي أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم بن مناد السدراتي الو رجلاني (ت570هـ/1174م) اهتمام كبير بالتاريخ ونقل الأخبار والسنن والأثار [3] ونسب إليه كتاب خصه لأشهر مناطق التجمعات الإباضية بعنوان "التاريخ الكبير لورجلان وسدراتة ووادي ريغ" وفتوح المغرب [4].

---

[1] علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007مص350.

[2] كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961,ص120

[3] الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، السير، تحقيق أحمد بن سعود السياسي، وزارة التراث القومي و الثقافة. عمان، ط2، 1992م,ص 105.

[4] حاجيات عبد الحميد، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984,ص341.

و قد انتحت طائفة من مؤرخي الموحدين ناحية التأليف في السيرة النبوية الشريفة ومن هؤلاء أبو العباس أحمد بن محمد العزفي السبتي (ت633هـ) صاحب كتاب "الدرر المنظم في مولد النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم "وتوجد من هذه الكتاب نسخة خطية بالمكتبة الزيدية بمكناس بالمغرب [1].

ومنهم ابن دحية الكلبي (ت 633هـ) صاحب كتاب التنوير في مولد السراج المنير [2].

وظهر من مؤرخي الأنساب كتاب "اقتباس الأنوار وإلتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار "للمؤرخ أبي محمد بن علي بن عبد الله اللخمي المعروف بالرشاطي المتوفى سنة 542هـ [3].

---

[1] علام عبد الله علي، الدولة الموحدية ،مرجع سبق ذكره، ص352.

[2] المقري أبو العباس,نفخ الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م,ص371.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1972,ص337.

ب-الجغرافيا والفلك

كان المهدي محمد بن تومرت من أئمة علم التنجيم المعدودين في عصره، فقد اختار تلميذه عبد المؤمن بن علي واصطفاه من بين التلاميذ ليكون خليفته "فنزل ابن تومرت –وهو آت من المشرق – بضيعة يقال لها ملالة (قرب مدينة بجاية بالمغرب الأوسط) [1] وبها لقيه عبد المؤمن بن علي [2] وهو إذ كان متوجه إلى المشرق في طلب العلم، فلما رآه محمد بن تومرت عرفه بالعلامات التي كانت عنده وكان ابن تومرت هذا أوجه عصره في علم حظ الرمل [3].

لقد اشتغل الخليفة يعقوب المنصور (ت595هـ/1198م) حفيد عبد المؤمن بالتنجيم ووضع أبراجا فلكية عن كسوف الشمس وامر بإقامة برج عال بجامع اشبيلية الأعظم للأذان والرصد النجوم أيضا فكان أول مرصد أقيم في أوروبا لعلم الفلك [4].

[1] ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق,ص 173.

[2] ابن القطان أبو محمد، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص 167.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق,ص127.

[4] علم الفلك :هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل على تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، ابن خلدون، المقدمة، ج3,ص 187.

أما المصنفات الجغرافية في هذه الفترة، فهي قليلة و لا بأس أن نسير إلى الرحالتين العالميين اللذين كانا في هاته الفترة وهم جزء من الوحدة التي عاشها المغرب و الأندلس في الفترة الموحدية وهم:

الشريف الإدريسي (ت560هـ/1164م) وابن جبير [1] (614هـ/1217م)

وكان المغرب الأوسط همزة وصل بين الأندلس و المشرق، كما كان المغاربة في مقدمة الشعوب المحبة للرحلات و الإطلاع إلى أحوال الأمم وكان للدين الإسلامي الفضل الأكبر في غرس الرحلة في نفوسهم بالذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وطلب العلم والتجارة ثم إلى بلاد الشام لزيارة الأماكن المقدسة.

[1] هو الرحالة الشهير أبو الحسن محمد بن جبير الكتاني البلنسي، تعلم بجامعة بلنسة وبرز في الحديث وفنون الأدب ثم استخدمه الأمير أبو سعيد بن عبد المؤمن أمينا لسره، ثم أذن له بالسفر لقضاء فريضة الحج و فمكث في رحلته سنتين,زار فيها أثناء ها جزيرة كريت وجزيرة صقلية، ثم مصر والحجاز والعراق، والشام، وكان يدون كل ما يراه في مذكرات عرفت فيما بعد برحلة ابن جبير، ثم عاد إلى بلاده ثم رجع ثانية وثالثة إلى بلاد المشرق وتوفي بالإسكندرية سنة 614هـ، عبد الله علي علام، الدولة الموحدية في المغرب، المرجع السابق، ص354.

المبحث الثاني: العلوم النقلية

قسم العلماء المسلمين في العصور الوسطى إلى مجموعتين كبيرتين. العلوم العقلية والعلوم النقلية، وتشتمل العلوم النقلية على علوم اللغة العربية، وقد ميزوا بين العلوم القرآنية أو المتصلة بالقرآن الكريم وبين العلوم التي اقتبسها العرب من غيرهم من الأمم كالفرس و الهنود و اليونان.

1-القراءات

كان علم القراءات في مقدمة العلوم الدينية التي عنى المسلمون بأمرها بإعتبار علم القراءات اول محاولة في تفسير القرآن الكريم.

وكان المغرب الموحدي من أشد أقطار المسلمين اهتماما بهذا العلم، فقد كان الموحدون يتخذون كتاب الله إماما لهم، ونبراسا يهتدون بهديه.وقد وضع لهم المهدي ابن تومرت نظاما يوجب عليهم قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم عقب صلاة الصبح و المغرب [1]، قراءة مرتلة طبقا لقوله تعالى "ورتل القرآن ترتيلا" وليس أدل على عناية الموحدين بهذا العلم من أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد درسه ونال حظا وافرا منه "فكان من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم.تعالى "ورتل القرآن ترتيلا" [2] و ليس أدل على عناية الموحدين بهذا العلم من أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد درسه ونال حظا وافرا منه "فكان من أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم " [3].

[1] ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 115.

[2] سورة

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، مصدر سابق,115.

وقد شجع الخليفة يعقوب المنصور مؤلفي فن القراءات رغبة منه في أن يتلو الناس القرآن الكريم تلاوة سليمة.ومن المؤلفين الذين ظهروا في هذه الحقبة المقرئ أبو الحسن علي بن محمد البلنسي الذي قلم بالتدريس بمراكش في عهود عبد المؤمن ويوسف ويعقوب المنصور، ونظم المرادى هذا رجزا في التجويد سماه المنصف فكافآه الخليفة يعقوب المنصور عليه، ومن علماء القراءات الذين اشتهروا في هذه الحقبة أيضا الشيخ أبو القاسم الرعيني ألشاطبي الأندلسي المتوفى بالقاهرة سنة 590هـ [1] ثم أحمد بن عبد الله اللخمى الفاسي المتوفى بمصر أيضا سنة 560هـ [2] ثم النفزى المقرئ الضرير المتوفى سنة 588هـ [3] ومنهم أيضا الحسن بن عمر البطليوسي المتوفى سنة 585هـ ثم يحي بن سعدون الأزدى الأندلسي المتوفى سنة 567هـ."[4].

ومن الأئمة الذين برزوا في النحو والقراءات والحديث الشيخ أحمد بن علي ابن أحمد بن خلف المعروف بابن الباذي الجياني صاحب كتاب الإقناع و كتاب الطرق المتداولة.

---

[1] الحموي,معجم البلدان، مصدر سابق، ص253.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4,ص65.

[3] المقري، نفخ الطيب، ج6,ص51.

[4] المصدر نفسه، ص85.

2- علوم اللغة العربية

أ-النحو و اللغة: عنى الموحدون بالعلوم اللسانية ولا سيما أن ابن تومرت كان من المهتمين باللغة العربية، وممن درسوها بالمشرق فعلى ضوئه سار خليفته عبد المؤمن الذي نشأ ابنه يوسف تنشئة دينية ولغوية، فأضحى من علماء اللغة ومن المتبحرين في علم النحو [1].

وقد وضع ابن مالك صاحب الألفية -شرحا للجز ولية – قال في مطلعه: "إن كتاب القانون في النحو وإن كان صغير الحجم، لكنه كثير العلم، مستعص على الفهم، مشتمل على أبواب الأدب، منطو على سر كلام العرب، متضمن للنكات العربية التي خلا عنها أكثر شروح النحو[2].

وبقول ابن خلكان واصفا الجز ولية: "إن الجز ولي قد آتى فيها بالعجب العجاب وهي في عناية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، وقد وضع الجزولية عدة شروح منها شرح كبير للجزولي نفسه، وشرح كبير لابن عصفور، وقد أكمله الشلوبين.

ومن نحاة المغرب: ابن خلف البكري السلوى الذي شرح المفصل وشرح الجزولية وأبو داود الشاذلي المراكشي. وأبو القاسم عبد الرحمان بن محمد المصمودي.

وممن ألفوا في العروض أبو ذر مصعب بن مسعود ألخشني، ثم الحسن ابن احمد بن يحي بن عبد الله الأنصاري الذي درس القراءات والحديث وبرع في النحو والعروض وتوفي بمالقة سنة 585ه [3].

---

[1] المعجب، مصدر سابق،ص 155.

[2] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين يالتاقيا، دار التراث العربي ، بيروت، لبنان، د ت،ج2،ص505.

[3] المصدر نفسه،ص 580.

الفصل الرابع: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط وشرق المتوسط خلال العهد الموحدي

لقد اشترك معظم خلفاء الدولة الموحدية صفة حب العلم من خلال مشاركتهم الفعالة في الإنتاج الفكري ونقده، فهذا عبد المؤمن ومن بعده أبناؤه يدأبون على نفس درب زعيمهم المهدي بن تومرت من خلال إطلاق حرية التفكير [1] و البحث لنيل الإجازة والتزود بمختلف المعارف والأفكار وعقدوا المجالس العلمية في شتى القضايا. كما ساهموا في اقتناء أنفس الكتب وأحلاها.

ولا يخفى على أحد من العارفين أن تحصيل العلم يكون محليا من خلال الاتصال بمشايخ وفقهاء المنطقة، ثم يأتي التفكير في الاحتكاك بالاتصال بعلماء آخرين من أجل التوسع و التزود بمعلومات أخرى ثم الحصول على الإجازة وبذلك تعددت مظاهر النشاط الفكري في المغرب الأوسط بأن الفترة الموحدية ومن هذه المظاهر الرحلة في طلب العلم، والتواصل بين مختلف العلماء واحتكاك الطلبة بهم من خلال مختلف الإجازات العلمية، فحدث تنافس كبير لاقتناء أجود وأحسن الكتب التي أنتجت في تلك الفترة أو اقتناؤها من المشرق بعد رحلة طويلة من الحج [2].

---

[1] ابن أبي الزرع، الأنيس,ص ص 203-204.

[2] ديب صفية، المرجع السابق,ص42.

المبحث الأول: العلاقة الثقافية بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى خلال العهد الموحدي

إن المغرب الأدنى كان في البداية قبل فتحه الكلي من قبل الموحدين عبد المؤمن مقاطعة تابعة لولاية بجاية. ليفصل فيما بعد ويصبح ولاية إدارية قائمة بذاتها، مع تعيين أبناء عبد المؤمن كولاة عليه وعلى بجاية وتلمسان و بالتالي استمرت العلاقة الأسرية لتتوج على المستوى الشعبي بعلاقات ثقافية وتبادل للزيارات و الرحلات.

تذكر لنا المصادر و الآثار أخبار كثيرة من رجال الدين والعلم والفن ويبرز هنا عالم فاضل، لا تأخذه في الله لومة لائم يجسد المعنى الحقيقي للعلاقات بين المغرب الأوسط و الأدنى وهو عبد السلام التونسي (ت589هـ/1193م) [1] أصله من تونس وصحب عمه العزيز التونسي بأغمات، وهو من شيوخ الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي. وكانت وفاته بتلمسان ودفن بالعباد، في الرابطة المعروفة برابطة التونسي [2]، ثم دفن الشيخ أبو مدين بعد وفاته بجواره في روضته.فكانت له لقاءات علمية وروحية مع عدد من علماء المغرب الأوسط، فأفاد منه خلق كثير علما وتربية وسلوكا [3].

---

[1] ابن قنفد,أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط,1965,ص210.

[2] التدلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار بني العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق,مطبعة النجاح الجيدة، ط3,الدر البيضاء، 2010م,ص110.

[3] الحاج محمد بن رمضان شاوش,باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية,1995,ص419.

كما وفد على تلمسان قادما من حضرة الموحدين مراكش الفقيه أبو طاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي (ت608هـ/1211م) و كان له مجلس علم يدرس فيه كتاب البرهان لأبي المعالي وقد مال إلى التصوف [1].

إضافة إلى بعض علماء المغرب الأدنى الذين وفدوا على أبي مدين شعيب، يذكر أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهداوي (ت621هـ/1224م) حيث استقر بعد عودته من بجاية في مدينة تونس. و التزم قصر المنستير معلما ومتعبدا [2] و أبو يوسف بن ثابت الدهماني (ت621هـ/1224م) الذي أخذ التصوف عن أبي مدين شعيب ببجاية، ولما عاد إلى إفريقية استقر بالقيروان، و تخرج على يد العديد من الطلبة [3].

وتأثر أبو سعيد يحي الباحي (ت628هـ/1230م) بأبي مدين وأفكاره من خلال احتكاكه بمدينة بونة ووجود علاقات أخوية مع بعض صوفيتها.

كما كان الشيخ الفقيه عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي (ت636هـ/1238م) الكاتب المحصل الأديب البارع، أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، نشأ بتونس، وتوفي بقسنطينة أحد الأشياخ المتصبين للتدريس و الرواية [4].

---

[1] التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، مصدر سابق، 406.

[2] ابن قنفد.أسس الفقير وعز الحقير ص ص99/97.

[3] الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، اكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق وتعليق محمد ماضود,المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة الخازجي، مصر، د ط,1973م، ج3,ص 213.

[4] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، مرجع سابق,ص218.

وبذلك ساهمت الرحلات العلمية في ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط، فالرحلات الداخلية وجدت نوعا من التكامل العلمي بين المؤسسات العلمية المختلفة في المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، أما الرحلات الخارجية فقد جعلتهم يطاعون على ما أنتجه إخوانهم المشارقة في مختلف فروع العلوم ومكنتهم من التعرف على مختلف التيارات الفكرية و الأدبية وحتى المذهبية [1].

لقد قام ابن تومرت رحلة مشرقية طلبا للعلم، ودامت رحلته خمسة عشر عاما، عاد منها بحرا متفجرا من العلوم[2],فجلس لتدريس العلم، ففي تونس جلس إليه مجموعة من الفقهاء يأخذون عنه [3] وفي المهدية قرأ عليه الناس كتب من أصول الدين [4].

بذلك يمكن اعتبار ابن تومرت أول من أدخل طرق التدريس المشرقية الحديثة إلى بلاد المغرب في هاته الفترة.باعتباره اطلع عليها حيث كانت المدارس النظامية بدأت في الظهور[5].

---

[1] ديب صفية، المرجع السابق,ص 174.
[2] ابن خلدون، العبر، ج6,مصدر سابق,302.
[3] البيدق,أخبار المهدي، مصدر سابق,ص30,
[4] ابن خلكان، وفيت الأعيان، مصدر سابق,ج5,ص 47.
[5] البيدق,أخبار المهدي، ج6,مصدر سابق,ص36.

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ومصر وبلاد الشام

الرحلة في طلب العلم عمل عرفه المغرب الإسلامي منذ عهوده الأولى، فمعظم علمائه كانتا لهم رحلات علمية واسعة إلى المشرق لأداء فريضة الحج [1] ولقاء المشايخ، وجمع المصنفات المتداولة في مجالس العلم بالغرب والشرق الإسلاميين، وقد وردت العصور الأولى حتى القرن السابع الهجري لا يعرف إلا رحلات مكتوبة كرحلة ابن عربي، وابن جبير (614هـ/1217م).

لقد شد طلاب المغرب الأوسط خلال القرنين السادس و السابع الهجريين كغيرهم من طلاب الأمصار الأخرى الرحال لطلب العلم إلى الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى آنذاك سواء منها الغرب الإسلامي أو المشرق الإسلامي بهدف توسيع معارفهم وتنقيحها، وكذا لقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر خاصة المتحدثون منهم [2].

ولذا يوجد نوعين من الرحلة العلمية، داخلية وخارجية أما ما نريد التحدث عليه الرحلة الخارجية، فكانت غالبا إلى المشرق، وقد أوردت كتب التراجم أسماء كثيرة من علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم، وبذلك استمر الاتصال العلمي و الثقافي و الفكري بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه في عهد الموحدين [3].

---

[1] ابن جبير، مصدر سابق، ص277.

[2] ديب صفية، المرجع السابق، ص165-166.

[3] شفبق محمد،شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984م.ص33.

ومن الأنساب الرئيسية للرحلة هي أداة مناسك الحج أو تقصد طلب العلم أو لدوافع أخرى كالتجارة والعمل أو السياحة والمغامرة و الاستكشاف أو بسبب الرغبة في جهاد الصلبيين في المشرق، حيث فتحت الدولة الموحدية الباب على مصراعيه أمام المتطوعين من المغاربة للسفر إلى مصر و الشام برا وبحرا لمشاركة إخوانهم المشارقة في الحرب المقدسة [1].

فالرحلات في بادئ الأمر كانت متجهة صوب الحجاز ومرد ذلك للحنين إلى مهبط الوحي و الرغبة في الارتواء من معين المفاهيم الإسلامية والأخذ من الإسلام المشهورين.

لقد أضفت الرحلات العلمية و الثقافية طابع النمو و الازدهار، نقلت المغاربة والأندلس من بلاد مقلدة للمشرق إلى بلاد منافسة ومتفوقة في بعض الأحيان [2].

نتج عن هذه الإتصلات بلورة الحركة العلمية في المغرب الأوسط، وعادت عليه بفائدة كثيرة، كالقيروان والإسكندرية وبغداد والبصرة و الكوفة ومكة والمدينة ودمشق، فأثرت حلقات الدرس في جوامع بجاية وتلمسان وندرومة و ورجلان، إذ كانت تدرس المواد نفسها التي تدرسها جوامع الشام والعراق و الحجاز ومصر [3].

إن معظم الرحلة لم يرحلوا إلى المشرق إلا بعد اكتمال ثقافتهم وإلمامهم بفنون مختلفة من العلوم في المغرب.

---

[1] أحمد مختاري العبادي، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، ندوة الحضارة الإسلامية 1976,نشر مؤسسة شباب الإسكندرية، مصر، 2000,ص 83.

[2] عبد الواحد ذنون طه، دراسات أندلسية، ط1,بغداد، 1986م، ص206.

[3] ديب صفية، المرجع السابق,ص 169.

الخـاتــمـــة

من بين النتائج والاستنتاجات التي اهتديت إليها من خلال قيامي بهذه الدراسة هي :

- عاش المغرب الأوسط حياة فكرية وثقافية مزدهرة خلال العهد الموحدي رغم الوحدة السياسية إلا أنه حاول الحفاظ على الموروث الحضاري السابق والتفاعل مع الرصيد الجديد، فاحتل مكانة رائدة ضمن المجال الموحدي بفضل النزعة العلمية والثقافية التي تميز بها أهله وولاته، ورعايتهم للفنون والآداب والعلوم الشرعية وتشجيعهم للعلماء والفقهاء واستقطاب مختلف حواضره لعلماء العالم الإسلامي.

- ازدهار الحياة الفكرية ازدهارا عظيما، فأصبح للعلوم سواء العقلية منها أو النقلية الحظ الأوفر في تقدمها وانتشارها أكثر.

- ظهرت بالمغرب الأوسط مراكز علمية جديدة بحكم موقعها وعلاقتها بمركز الخلافة الموحدية بمراكش مع اختفاء وضعف الحواضر والمراكز العلمية القديمة، فصارت كل من بجاية وتلمسان من أهم المراكز الفكرية ليس في المغرب فحسب بل في العالم الإسلامي.

- بنى الموحدون رصيدهم المعرفي في كامل المغرب الإسلامي بما فيها المغرب الأوسط على أساس

التعليم، وقد بدأت دعوة ابن تومرت، وثمة خلفاؤه من بني عبد المؤمن من خلال تشجيع العلوم والعلماء - تنوعت المؤسسات الثقافية والفكرية من بسيطة إلى مدارس منظمة حكومية حيث يبدأها الطالب من الكتاب والمسجد وصولا إلى الدراسات المتقدمة على يد شيوخ قدرين، وقد عملت الدولة على توجيه التعليم وجعله رسميا خادما لسياستها مع ترك الحرية للفكر والإبداع، فكانت مدارس ومساجد وزوايا مختلف حواضر المغرب الأوسط قبلة للطلاب والدارسين من مختلف الأقطار.

كما يمكن أن نؤكد تبلور الفكر والثقافة في المغرب الأوسط حيث كان مستمدا من الوحدة الحاصلة والاتصال و التأثر المستمر بالمشرق الإسلامي، وهو ما يوجز العلاقات الثقافية مع مختلف الأقطار الإسلامية. حيث ربط المغرب الأوسط علاقات مع كل الأقطار وخاصة الشرقية، ولم تقف الحدود السياسية والجغرافية في الطريق لإقامة علاقات ثقافية متنوعة سواء بين حواضر المغرب الأوسط أو مع المشرق، بل كان التأثير متبادلا مما ولد تفاعلا كبيرا في شتى المجالات العلمية.

قـــائـمـــة الـمـراجع و المصادر

1. البيدق لأبو بكر بن علي الصنهاجي، ت 555ه / 1160م/ أخبار المهدي بن تومرت، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية 2007م.
2. التادلي (أبو يعقوب يوسف من يحيى بن الزيات، ت 628ه/ 1230م) التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط3، 2010م.
3. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي، ت 1068ه/1657م) كشف الظنون عن اسمى الكتب و الفنون، تصحيح و تعليق محمد شرف الدين بالتقايا، و رفعت الكلبسي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، د، ت.
4. الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، الرومي البغدادي، ت، 626ه/1228م)
5. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الخضرجي، ت، 808ه/ 1405م)، العبر و ديوان المبتدأ و الخبري، تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن و الحواشي و الفهارس، خليل شحاذة و مراجعة سهيل زكارن دار الفكر للطباعة، بيروتن لبنان،ط1، 2000م.
6. ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادي، مطبعة خزانة ابن خلدون ، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2005م

7. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، ت681هـ/1282م) وقيادت الاعيان وأبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.

8. ابن أبي الزرع (أبو الحسن علي ابن عبد الله الفاسي كان حيا سنة 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بر وصف القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منور، دار المنصور، للطباعة، الرباط، 1972م.

9. الزركشي (محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ أبو عبد الله، كان حيا سنة 894هـ/ 1489م)، تاريخ الدولتين الموحدية و الخفصية، تحقيق محمد ماظور المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

10. ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي ابن موسى المذحجي الغرناطي، ت 685هـ/1286م)، المغرب ي حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط4، 1993م.

11. ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك ابن محمد الباجي، كان حيا 594هـ/1198م)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعارهم الوارثين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنانن ط،1987م.

12. ابن عبدون (أبو عبد الله ابن احمد التيجيني الإشبيلي، من أهل القرن 6هـ/12م)، رسالة في الفضاء و الحسة، تحقيق ليفي بروفينسال، بمطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

13. ابن عذاري (أبو العباس احمد ابن محمد المراكشي، كان حيا سنة 712هـ/ 1312م)، لبيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1985م.

14.ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.
15.العنبرتي (أبو العباس أحمد بن أحمدن ت، 704ه/1305م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية، تحقيق رابح بونان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط2، 1981م.
16.القاضي عياض (أبو الفضل عياض ابن موسى اليحصبي، ت، 544ه/1149م)، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة غعلام مذهب مالك، ضبط و تصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ج2، ط1، 1998م.
17.ابن القطان (أبو محمد الحسن ابن علي الكتامي، كان حيا سنة 650ه/ 1252م) نظم الجحان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامين بيروت، لبنان، ط2، 1990م.
18.ابن قنفد (أبو العباس بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت810ه/ 1407م) انيس الفقير و عز الحقير، نشر و تصحيح محمد الفاسي، و ادولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.
19.مجهول (كان حيا سنة 783ه/ 1381م)، الجليل الموشبة في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، و عبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.
20.المراكشي(عبد الواحد ابن علي التميمي، المراكشي، محي الدين، ت 647ه/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشية، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.

21.المقري (أبو العباس شهاب الدين احمد ابن محمد القرشي المقري التلمساني، ت 1041هـ/ 1632م)، نفح الطيباني في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

22.الونشريسي (أبو العباس أحمد ابن يحيى التلمساني، ت 914هـ/1508م)، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب، خرجه محمد حجي و جماعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية للمملكة المغربية، الرباط، 1981م.

23.الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي، الحنين السني المعروف بالشريف، ت 560هـ/ 1165م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

الفـــهــرس

إهـــــداء

مــقدمـــة

الفصل الأول: جغرافية المغرب الأوسط و دول شرق المتوسط.. 1

المبحث الأول: جغرافية المغرب الأوسط.. *5*

المبحث الثاني: جغرافية دول شرق المتوسط... *8*

المبحث الثالث: لمحة تاريخية للدولة الموحدية.. *9*

الفصل الثاني: الحواضر العلمية و المراكز الثقافية بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي.. 11

المبحث الأول: الحواضر العلمية... *11*

المبحث الثاني: المؤسسات الثقافية *18*

الفصل الثالث: العلوم العقلية والعلوم النقلية 30

المبحث الأول: العلوم العقلية.. *30*

المبحث الثاني: العلوم النقلية.. *34*

الفصل الرابع: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط وشرق المتوسط خلال العهد الموحدي.. 37

المبحث الأول: العلاقة الثقافية بين المغرب الأوسط والمعرب الأدنى خلال العهد الموحدي.. *38*

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ومصر وبلاد الشام.. *41*

الخـاتـمــة

قائمة المصادر و المراجع

الفــهــرس